

الحلقة الثالثة  
قصص الخلفاء الراشدين

الْقِصَصُ الدِّينِيُّ

وَفَاةُ عِمْرَةَ

عبد الحميد جودة السحار

١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » .

( قرآن کریم )

انتصر المسلمون على الفُرس في القادِسيَّة وفي  
 جُلولاء الواقعة ، فضاقت صدورُ يَزْدَجَرْدَ ملكِ الفُرسِ  
 بالهزيمة ، وأراد أن يسرَّدَ ملكه من العرب ، فجمع  
 جيشًا عظيمًا ، وجعل قائده الهُرْمُزَان ، ودار بين  
 جيشِ المسلمين وجيشِ الفُرسِ بقيادة الهُرْمُزَان قتالٌ  
 رهيب ، فهزِمَ الفُرس ، ووقع الهُرْمُزَان في الأسر ،  
 وأُرْسِلَ إلى عمرَ أمير المؤمنين في المدينة .

وصل الوفدُ بالهُرْمُزَانِ إلى المدينة ، فلمَّا بلغوها  
 هيَّئوا الهُرْمُزَانِ في هيئته ، فألبسوه كُسوةً من  
 الدِّياج (الحرير) الذي فيه الذهب ، ووضعوا على  
 رأسه تاجًا مكلَّلًا بالياقوت ، وعليه جليته كيما يراه

عمرُ والمسلمون . وذهب الوفدُ إلى بيتِ عمر ،  
فقبل لهم إته خرج ، فساروا في طُرقات المدينة  
والناسُ حولهم ، ومروا بغلمانِ يلعبون ، فسألهم  
الغلمان :

— من تريدون ؟ أميرَ المؤمنين ؟

— أجل .

— إنه نائمٌ في مِمنّةِ المسجد .

فوجدوا رجلاً نائماً ، متوسّداً بُرُئسه ، ولا أحدَ  
في المسجدِ غيره ، فراح الهُرْمُزَانُ يدير عينية في  
المسجد ، فلا يجدُ إلا رجلاً نائماً ، وفي يده دِرّةٌ  
معلقة ، فسأل الوفد :

— أين عمر ؟

فأشاروا إلى الرَّجُلِ النَّائمِ ، وقالوا :

— هو ذا .

فظهر العجبُ في وجه الهُرْمَزَانِ ، وقال :

- أين حراسه وحجّابه ؟

- ليس له حارسٌ ولا حاجبٌ ولا كاتبٌ

ولا ديوان .

- فينبغي أن يكون نبياً .

- بل يعملُ عملَ الأنبياء .

وحدثت جَلْبَةٌ ، وارتفعتُ أصواتُ النَّاسِ ،  
فاستيقظَ عمرٌ وفتحَ عينيه ، فوقعَ بصرُهُ على رجلٍ  
في ملابسٍ فاخرة ، وعلى رأسِهِ تاجٌ يتلألأُ ،  
فاستوى جالساً وسألَ من حوله :

- الهُرْمَزَانُ ؟

قالوا :

- نعم .

فأخذَ عمرٌ يتأمَّلُهُ ويتأمَّلُ ما عليه ، ثم قال :

— أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّاسِ ، وَأَسْتَعِينُ اللَّهَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي أَذَلَّ بِالْإِسْلَامِ هَذَا وَأَشْيَاعَهُ .

ثم التفت إلى الناس وقال :

— يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، تَعَسَّكُوا بِهَذَا الدِّينِ ،  
وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ ، وَلَا تُبْطِرُنَّكُمْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا  
غَرَارَةٌ .

فقال له الوفد :

— هَذَا مِلْكُ الْأَهْوَازِ فَكَلِّمِهِ .

فقال عمرُ وهو يُشِيخُ عَنْهُ بِوَجْهِهِ :

— لَا ، حَتَّى لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مِنْ حِلْيَتِهِ شَيْءٌ .

فجَرَّدُوهُ مِنْ ثِيَابِهِ إِلَّا مَا يَسْرُهُ ، ثُمَّ أَلْبَسُوهُ ثَوْبًا  
خَشِينًا ، وَقَالَ لَهُ عُمَرُ :

— مَا عَذْرُكَ وَمَا حُجَّتُكَ فِي انْتِقَاضِكَ مَرَّةً بَعْدَ  
مَرَّةٍ ؟

- أخافُ أن تقتلني قبل أن أخبرك .

- لا تخف ذلك .

- أريدُ أن أشرب .

فأتى بماء في إناء ، فتناولهُ ، وجعلت يده ترتجف ،  
ثم التفت إلى عمر ، وقال :

- أخافُ أن أقتلَ وأنا أشربُ الماء .

- لا بأسَ عليك حتى تشربه .

فالتقى الهرمزانُ بالماء ولم يشربه ، فقال عمر :

- أعيدوا عليه ( أى أعطوه يشربُ مرةً ثانية )

ولا تجمعوا عليه القتلَ والعطش .

فقال الهرمزان :

- لا حاجة لي في الماء ، إنما أردتُ أن أستمعَ به .

فقال عمر :

- إني قاتلك .

- قد أمنتني .

- كذبت .

- فقال الناس .

- صدق يا أمير المؤمنين قد أمنتته ، قلت له :  
لا بأس عليك حتى تشربه .

فأطرق عمرُ قليلاً ، ثم رفع رأسه ، والتفت إلى  
الهَرَمُزَانِ ، وقال : والله لا أتخذعُ إلا لمسلم .  
فأسلمَ الهَرَمُزَانُ ، وأنزله عمرُ المدينة .



لم يكنِ الحرْمُزَانُ صادقاً في إسلامِهِ ، فقد أسلمَ  
لِيُنْقِذَ نَفْسَهُ ، وكان يحْقِدُ على عمر ، لأنَّهُ هزَمَهُمْ ،  
لذلك كان يدبِّرُ قَتْلَهُ ، وفي ذات ليلةٍ دخل الحرْمُزَانُ  
وأبو لؤلؤة غلامُ المغيرة بن شعبة ورجلٌ ثالثٌ إلى  
مكان هادئٍ وراحوا يتشاورون ، ثم وضعوا بينهم  
خنجراً له رأساً ومقبضه في وسطه ، واتفقوا على  
أن يقتلَ أبو لؤلؤةَ عمر .

وخرج عمرُ يطوفُ في السُّوقِ فلقىهُ أبو لؤلؤة ،  
وكان غلاماً للمغيرة ، وقد فرض عليه المغيرةُ دِرْهَمَيْنِ  
كلَّ يوم ، لأنَّهُ كان صانعاً ماهراً . قال أبو لؤلؤة :  
- يا أميرَ المؤمنين ، إن عليَّ خراجاً كثيراً .

- وكم خراجك ؟

— دِرهما في كل يوم .

— وأيش صناعتك ؟

— نَجَّارٌ نَقَّاشٌ حَدَّادٌ .

— فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من  
الأعمال ؛ بلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل رَحَى  
تطحن بالريح فعلت .

— نعم .

— فاعمل لي رَحَى .

— لكن سلمت لأعملن لك رَحَى يتحدث بها من  
بالشرق والمغرب .

وانصرف أبو لؤلؤة ، وفكر عمرُ فيما قال ،  
فَغَنِمَ :

— لقد توعدني العبد .

وراح عمرُ يصرفُ أمورَ المسلمين ، ومرت أيامٌ نسيَ عمرُ بعدها حديثَ أبي لؤلؤة ، وارتفع صوتُ المؤذنِ يدعو الناسَ لصلاةِ لصبح ، فخرج عمرُ من داره ، وذهب إلى المسجد ، وتقدم الصفوف ، فخرج أبو لؤلؤة من بين الصفوف ، وطعن عمرَ ثلاثَ طعنات . فصاح عمرُ .

— دونكم الكلب ، فإنه قد قتلني .

وماح الناس ، وخرج رجالٌ وصاح بعضهم بعض : « دونكم الكلب » . فشدَّ على أبي لؤلؤة رجلٌ من خلفه . فاحتضنه وقبضَ عليه ، وقال قائلٌ .

— الصلاةَ عبادَ الله ، طلعتِ الشمسُ .

فقال عمر :

— أفي الناس عبدُ الرحمنِ بنِ عوف ؟

— نعم يا أميرَ المؤمنين ، هو ذا .

— تقدم .

فصلى عبد الرحمن بأقصر سورتين في القرآن ، ثم  
أسرع الناس إلى عمر ، فقال :

- يا بن عباس ، اخرج فناد في الناس : أعن  
ملاء ورضى منهم كان هذا ؟ ( أى هل اتفقوا  
على قتله ورضوا عن ذلك ؟ )

فخرج ابن عباس فنادى ، فقالوا :  
- معاذ الله ، ما علمنا .

واحتمل عمر ، فأدخل إلى داره ، ودخل على بن  
أبي طالب عليه ، فقال له عمر :

- يا على ، أعن ملاء منكم ورضى كان هذا ؟  
فقال على :

- ما كان عن ملاء منا ولا رضى ، ولوددنا أن  
الله زاد من أعمارنا في عمرك .

وكان رأس عمر في حجر ابنه عبد الله ، فقال له :

---

(١) ملاء . مساعدة على الأمر

- ضَعْ خَدَيَّ بِالْأَرْضِ .

فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَلَحَظَهُ وَقَالَ :

- ضَعْ خَدَيَّ بِالْأَرْضِ ، لَا أَمَّ لَكَ .

فَوَضَعَ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ ، فَقَالَ :

- الْوَيْلُ لِعِمْرَ وَلَا مَّ عُمَرَ ، إِنَّ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِعِمْرَ .

وَدَخَلَ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى عِمْرَ فَقَالُوا :

- اسْتَخْلِفْ عَلَيْنَا .

- وَاللَّهِ لَا أَحْلُكُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا ، إِنْ اسْتَخْلَفْتُ فَقَدْ

اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِنْ أَدْعُ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ

هُوَ خَيْرٌ مِنِّي . ( يَقْصِدُ النَّبِيُّ وَأَبَا بَكْرٍ ) .

وَنَزَفَ دَمُهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ وَقَالُوا لَهُ :

- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ دَعَوْتَ الطَّيِّبَ .

- افْعَلُوا .

فَارْسَلُوا فِي طَلَبِ الطَّيِّبِ ، فَجَاءَ فَسَقَاهُ نَبِيذًا ،

فَخَرَجَ النَّبِيذُ مَشْكُلًا ، فَقَالَ :

— اسقوه لنا .

فسقوه لنا ، فخرج اللبن أبيض ، وبان الضعفُ  
في عمر ، فقال لابنه :

— اذهب إلى عائشة ، وأقرئها مني السَّلام ،  
واستأذنها أن أقبر في بيتها مع رسولِ الله ، ومع أبي  
بكر .

فذهب إليها عبدُ الله بنُ عمر ، فأعلمها ،  
فقالت :

— نعم وكرامة ، يا بني أبلغَ عمرَ سلامي ، وقلْ  
له : لا تدغِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ بلا راع ، استخلفَ عليهم  
ولا تدغهم بعدك هملاً ، فإني أخشى عليهم الفتنة .

فأتى عبدُ الله فأعلمه ، فقال :

— ومن تأمرني أن أستخلف ، لو أدركت أبا  
عبيدةَ بنَ الجراحِ باقياً استخلفته وولَّيته ، فإذا قُدمتُ  
على ربِّي فسألني وقال لي : من وليتَ على أُمَّةٍ

محمَّد؟ قلتُ إِي رَبِّ ، سمعتُ عبدَكَ ونبِيكَ يقول :  
لكلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وأَمِينُ هذه الأُمَّةِ أَبُو عبيدةُ ابنُ  
الجراح ، ولكنني سأستخلفُ نفرَ الذين تُوفِّي رَسولُ  
اللهِ وهو عنهم راضٍ .

واختارَ عمرُ عليًّا وعثمانَ والزُّبيرَ وسعدَ بنَ أبي  
وقاصٍ وطلحةَ وعبدَ الرحمن ، وقال لهم :

— إذا مِتُّ فتشاوروا ثلاثةَ أيَّامٍ ، وليصلِّ بالناسِ  
صُهَيْبٌ ، فإنَّهُ رجلٌ من الموالى لا يُنازِعُكم أمرَكم ،  
ولا يأتينَ اليَوْمَ الرَّابِعُ إلَّا وعليكمُ أميرٌ منكم .

واشتدَّ به الوجعُ ، ودبَّ فيه الضعفُ ، فراحَ  
يُتمتُّ مُستغفِرًا ربَّهُ ، ثم شَخَصَ بصره ، وفاضتْ  
روحُه صاعدةً إلى السَّماءِ ، راضيةً مرضيةً .

وجُهِزَ عمرُ ، وتقدَّم الخمسةُ : عليٌّ وعثمانُ  
وسعدُ والزُّبيرُ وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ وحملوه ونزلوا

به القبر ، ثم خرجوا من القبر ، وأخذَ عليٌّ يَنْفُضُ  
رأسه ولحيته ، ثم قال :

- رَحِمَ اللَّهُ ابْنَ الْخَطَّابِ ، لَقَدْ ذَهَبَ بِخَيْرِهَا ، وَنَجَا  
مِنْ شَرِّهَا .